# هيرودوس

قصة

بقلم اسكندر لوقا

مع مطلع الفجر ، عصبت رأسها بمنديل ابيض مبرقع، وخرجت الى الحقل بيدها منجل حصاد. عينان كانتا تراقبانها من خلف شجرة زيتون يتيمة نبتت على رابية . تقدمت خطوات من عيدان القمح ، وبدأت تعمل فيستلقي القمح على الارض كومه في اثر كومة . ورغم اقتراب عدد من النسوة يشاركنها العمل ، لم ترفع رأسها الى الاعلى . بقيت صامتة كأنها تصلي . حتى انها رفضت الرد على كل التحيات .

**«سوف انتهي من اللوحة هذا اليوم . وستبقى صورة هذه الفلاحة عالقة في مخيلتي دائما . انه احساس خامرني مذ رأيتها» .**

وحانت من الرجل القابع وراء شجرة الزيتون التفاتة . ثمة آلات درس الحبوب تقترب من المكان ، هديرها يملأ الافق. جاءت الالات لتذري القمح بغية تخزينه . وهدأت الفلاحة قليلا ، رفعت رأسها لتمسح عن جبينها بضع قطرات من العرق . ثم اختلست نظرة عاجلة ، كان الرجل ما يزال قابعا وراء شجرة الزيتون .

**«لا ادري ماذا فهم الرجل من هذه الحركة . رأيته يمعن في اخفاء نفسه خلف جذع شجرة الزيتون . وكأنه يزيح هو ايضا قطرات من العرق تجمعت فوق جبينه ، رأيته يرفع يده ويمسح بها جبينه» .**

المسافة بين الفلاحة وبين رفيقاتها اتسعت بمقدار يسمح لها بالتواري عن انظارهن دون ان يلحظن ذلك . وارتفعت دمدمة كانت تترنح ، بخفوت ، على شفتي فلاحة صغيرة : يا ميجانا ويا ميجانا ..

**« شكل الشجرة يكتمل قليلا قليلا في لوحتي . وينبسط السهل امام الرابية بلونه الاصفر المائل الى البياض . ما الحكمة في ان تنبت هذه الشجرة على الرابية يتيمة ؟ » .**

سارت الفلاحة نحو الطرف الاخر من السهل . تحت ابطها جرة ماء ، فوهتها الى الاسفل وقاعدتها الى الاعلى . واختفى الرجل القابع وراء شجرة الزيتون تماما . واما الفلاحة الصغيرة فلم تنقطع عن الغناء . ومن حولها عدد من النسوة اللواتي يجمعن القمح بدأن يشاركنها الغناء دمدمة : يا ميجانا ويا ميجانا.. واحدة منهن فقط ، كانت ترفع رأسها بين الحين والاخر لترمق بنظرات تحمل الاعجاب الشديد رجلا يقود آلة درس الحبوب . واكثر من مرة بادلته الابتسام . وكلما اصطبغت وجنتاها بالحمرة ، تعود الى مواصلة عملها . ولم يكن أحد ممن حولها يكترث بها .

**« قبل ان اخط بالريشة لم اكن اتصور نفسي قادرا على نقل ملامحها الكاملة على لوحتي . ولكنني في النهاية نجحت : وجهها المدور بلون الجوز الهندي . عيناها الواسعتان اللتان تحتضنان سهول الدنيا بكل ما فيها من روعة الخضرة . حتى انسياب قامتها الفاتنة بين اعواد القمح انسياب قارب مسافر . لم تعد الطبيعة وحدها تدين لريشتي » .**

ولم يكن الرجل ، سائق الآلة ، اقل اهتماما . تجرأ وغمزها بعينه . بيد انه سرعان ما ارتد الى نفسه . انه يريد ان تكون هذه الفتاة له من بين جميع نساء الارض . لكنه ايضا يريد ان يحتفظ بعمله حتى نهاية الموسم . من اجل هذا تجاهل وجودها من بعد تلك الغمزة .

وتلك الغمزة، كانت آخر كلمة يقولها في حكاية حبه للفتاه . فلقد الجمت ألسنة الجميع عدة طلقات نارية خرجت من مكان مجهول، وتجمعت كلها في صدره . خر على الارض . وأما الفتاة ، فقد اطلقت صيحه ذعر حادة ، ثم اغمضت عينيها بيديها كأنها تريد الا تصدق ما حدث .

**« هل كان ينبغي لي ان اتحرك منذ البداية ؟ »**

مرت لحظات من الزمان كأنما اصاب خلالها الكون كله جمود . لكنها كانت لحظات طارئة سرعان ما تبددت بفعل الحركات العصبيه من كافة الجهات . سارع الرجال الى مكان الجثه النائمه على وجهها . النساء ايضا اسرعن لمعاينة القتيل ، اثنتان فقط لم تبرحا مكانهما ، الفتاة مغمضة العينين ، والاخرى التي ذهبت لتملأ جرة الماء ، ثم عادت وغرقت في عملها صامتة كأنها تصلي .

**« ذلك الوجه الذي كان قابعا وراء شجرة الزيتون عرفته من زمان . يحكي ان امرأة ارادت ان تنتقم لنفسها من رجل ربما كانت قد احبته . كان الرجل تقيا ، قلبه كنبع ماء يتفجر من تحت صخرة. وكانت المرأة فاسدة يسكن في قلبها الشيطان . ولان الرجل التقي احب سواها ، همست في اذن احد عشاقها : اكون لك الان وغدا ودائما اذا اعطيتني رأس ذلك الرجل المتكبر . ولم يتردد العاشق فلوث يديه بالدم » .**

بقيت الرابية في مكانها . والشجرة بقيت في مكانها كأن شيئا لم يحدث . وحضر مختار القرية وعدد من الرجال والنساء والاطفال . وبدأ البحث عن الفاعل ، الا ان الرجل القابع وراء شجرة الزيتون كان قد اختفى . وأمر المختار الا يقترب احد من الجثة حتى يحضر رجال الدرك . وبقيت الفتاة المنكوبة مغمضة عينيها تأبى ان تفتحهما كيلا تصدق الفاجعة . واستمرت الاخرى ، قامتها محنية ورأسها نحو الارض ، تعمل صامتة ، كأنها تصلي .

**« الان عثرت على اسم للوحتي : هيرودوس ! »**

وبقي الجميع على حالهم ينتظرون وصول رجال الدرك .

١٩٧٠/٨/١٦

دمشق

**اسكندر لوقا**